# الرزاق

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر : ٣] .

الاسم هو « الرزاق » . ورد هذا الاسم في قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

والرزَّاق كما تعلمون صيغة مبالغة ، وإذا جاء اسم الله عزَّ وجل بصيغة المبالغة فمعنى ذلك أنه يرزق العباد جميعاً مهما كثر عددهم ، ويرزق الواحد منهم رزقاً وفيراً إذا شاء وبلا حدود ، إما على مستوى مجموع المرزوقين ، وإما على مستوى كمية الرزق ، لذلك لم تأت ـ هنا ـ الرازق ، بل أتت الرزَّاق ، لأنه يرزق كل العباد كما يرزق العبد الواحد ، وإذا أعطى أدهش .

وورد هذا الاسم في قوله تعالى على شكل فعل مضارع :

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت : ٦٠] .

ومن دعاء سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، اللهم يا رازق البُغاث ارزقنا ، ( للبغاث حكاية ) ، ولا بأس من التعريف به للقارىء الكريم : البغاث من فراخ الغراب ، أضعف أنواع

الطير ، والمثل العربي الشهير : « **إن البغاث بأرضنا يستنسر** » ، لشدة ضعفنا فإن البغاث وهو أضعف الطيور غدا حيالنا كالنسر[١] .

هذا **البغاث** فرخ من فراخ الغراب فإذا انفقأت البيضة عنه خرج البغاث أبيض كالشحمة ، يعني قطعاً من الشحم ، فإذا رآه الغراب أنكره لبياضه ، لأن الغراب أسود اللون ، فيسوق الله تعالى له بعض الحشرات يتغذى عليها إلى أن ينبت ريشه ويسود لونه عندئذ يتعرف عليه الغراب .

فمن أغرب هذه القصص أن فراخ الغراب وهي البغاث عبارة عن شحمة بيضاء لا تقوى على شيء ، والله سبحانه وتعالى يسوق لها الرزق ، إذاً ورد في بعض الأدعية : يا رازق البغاث في عشه ارزقنا .

والحقيقة أن من الخطأ والسذاجة أن تحصر الرزق في الطعام والشراب قال سبحانه :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

فقال العلماء : « **رزق الأبدان بالأطعمة ورزق الأرواح بالمعرفة** » ، والمعرفة أشرف الرزقين ، فإذا خصك الله بدخل وفير أكلت به أطيب الطعام ، وخص عبداً آخر برزق المعرفة فاعلم علم اليقين أن العبد الآخر أكثر حظوةً عند الله منك ، لأنه منحه رزق النفوس رزق الأرواح وهي المعارف ، قال الله عز وجل :

---

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ١٢ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[القصص : ١٤] .

هذا هو الرزق . . وقد ورد في بعض الأحاديث : « **أبيت يطعمني ربي ويسقيني** » [متفق عليه] وكأن النبي عليه الصلاة والسلام استعمل كلمة الطعام والشراب للرزق الروحي وهو أشرف أنواع الأرزاق .

أخي القارىء الكريم ، هذه بشارة : من أسباب سَعة الرزق الصلاة . . ما الدليل ؟ قال الله عز وجل :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢] .

استنباط من الآية لطيف جداً ، فإذا أردت أن يزداد رزقك لن أقول لك : صلِّ ، فأنت مصلٍّ ، إنما أقول لك : أتقن صلواتك ، فالخشوع من فرائض الصلاة لا من فضائلها ، وربنا عز وجل حينما أثنى على المؤمنين ، قال الله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ـ٢] .

ومن آداب العبودية أن يرجع العبد إلى ربه في كل ما يريد ، في الأشياء النفيسة وفي الأشياء الخسيسة ، هذا من آداب العبد مع الله عز وجل ، أن يرجع إليه في كل شيء خسيساً كان أو نفيساً ، أي : إن الله يحب من العبد أن يسأله شسع نعله إذا انقطع . . ضيعتَ مفاتيح البيت مثلاً ، فقل : اللهم! يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع بيني وبين مفاتيحي ، اسأله الأشياء الخسيسة كما تسأله الأشياء النفيسة . . إذا أضعت مكان موعد اللقاء مثلاً فاستفد من الواقعة التالية :

ذكر لي أحد الإخوة أنه توجه إلى المدينة المنورة للزيارة ، ونسي

العنوان الذي سوف يتوجه إليه ، فدعا الله في الطريق فساقه إلى البيت بشكل يسير ، بينما إنسان آخر بقي عشر ساعات ضائعاً عن مكان البيت .

إذاً اسأله الأشياء الخسيسة كما تسأله الأشياء النفيسة ، وهذا من تمام العبودية لله عز وجل .

في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ليسأل أحدكم ربه حاجاته كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »** .

الدليل . . سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماذا سأل الله ؟ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فهذا من الأسئلة النفيسة من أرقى الأسئلة ، ولما جاع قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص : ٢٤] ، وهذا دليل على أن العبد يجب أن يسأل ربه كل شيء .

سيدنا علي رضي الله عنه يقول : **« لستَ مطالباً بطلب الرزق ولكنك أمرت بطلب الجنة »** فما الذي فعلته ؟ تركت ما أمرت بطلبه وطلبت ما أُمرت بتركه ، وهذا انحراف من الإنسان لقلة ثقته بربه ، والله سبحانه وتعالى ضمن لهم الرزق بأدلةٍ كثيرة ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الروم : ٤٠] .

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١] .

أدلة كثيرة . . قال الله تعالى :

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١ـ٢٣] .

إذاً ربنا سبحانه وتعالى طمأننا بأنه تكفل لنا رزقنا ، ومع ذلك يجهد الناس ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل من أجل الرزق ، « **خلقت السموات والأرض ولم أعيَ بخلقهن أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ، لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك** » ، تكّفل لنا بالرزق ، وأمرنا أن نسعى للدار الآخرة ، فقال :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩] .

ما الذي يحصل ، إن الذي كُلِّفت في طلبه ، توانيت في طلبه ، والذي ضمنه لك سعيت إليه .

إذاً أَقبلوا على ما كُلِّفتم ودعوا ما ضُمِن لكم ، قال سالم بن بي الجعد حدثت أن عيسى عليه والسلام كان يقول : اعملوا الله ، ولا تعلموا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا! فإن فضول الدنيا عند الله رجز ، هذا طير السماء يغدو ويروح ليس معه من أرزاقه شيء ، لا يحرث ولا يحصد ويرزقه الله ، فإن قلتم : إن بطوننا أعظم من بطون الطير ، فهذه الوحوش من البقر والحمير تغدو وليس معها من أرزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد يرزقها الله [خرجه ابن أبي الدنيا] .

إنسان توفي أخوه وترك له خمسة أولاد ليس لهم مورد رزق ،

فصار يبكي ، ثم التقى بشيخه فقال له : ما بالك يا ولدي ، قال : توفي أخي وترك لي خمسة أيتام ، قال : ألم يترك لهم شيئاً ؟ قال : بلى شيئاً يكفيهم سنة ، قال : جيد ، حينما تنتهي هذه المؤونة ابدأ بالبكاء ، فيروى أنّ هذا الرجل توفي قبل أن ينتهي الرزق بثلاثة أشهر .

أعرِفُ شخصاً سيُهدم منزله ، لسبب تنظيمي ، فضج وزمجر وأرعد ، وتمزق وبكى واستعطف ، وقد وُعِدَ وَعْدَاً قطعياً بتأمين بيتٍ لائق به ، رغم كل الوعود والمواثيق بقي مضطرباً وضَجِراً ومات بعد أشهر عدة قبل أن يهدم بيته .

الإنسان لا ينبغي له أن يهتم للشيء أكثر مما ينبغي ، فالله الرزاق موجود .

قال بعض العلماء : « **الرازق من غذّى نفوس الأبدان بتوفيقه ، وحلى قلوب الأخيار بتصديقه** » ، دائماً الرزق رزقان رزق الأبدان ورزق النفوس ، فإذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت .

وبعض العلماء فسر القوت برزق الأرواح ، يعني إذا صليت صلاةً وأعجبتك ، إذا صليت وبكيت ، إذا قرأت القرآن وخشع قلبك تطمئن ، فالمعنى أنك قريب من الله عز وجل ، وأن هناك حياة ونبضاً ، وأن هناك شيئاً من الإخلاص فيك ولذلك خشعت ، إذاً إذا أحرزتِ النفس قوتها اطمأنت ، بالمعنيين الأول والثاني .

قال بعض العلماء : « **الرزاق من خص الأغنياء بوجود الرزق** » ، ترى الغنيَّ المالُ بين يديه كثير ، يأكل ما يشتهي ، يشتري أجمل بيت ، يقتني أجمل أثاث ، يذهب إلى أي مكان يشاء ، يختار أجمل

مركبة ، يختار أجمل الثياب ، يختار أجمل الأماكن ، قال : « **الرزاق هو الذي خص الأغنياء بوجود الرزق ، وخص الفقراء المؤمنين بشهود الرزاق** » .

أعطاك طعاماً وأعطى الغني طعاماً وشراباً وبيتاً ودخلاً ومركبة وأعطى الفقير المؤمن شهود الرزاق ، إما أن تجد الأرزاق ، وإما أن تشهد الرزاق ، المجموع ثابت ، هناك نظرية رائعة جداً ، معناها لو جمعت كل شيء أعطاك الله إياه وجمع الآخَرُ كل شيء أعطاه الله إياه لكان مجموع الاثنين واحداً ، فإذا أخذ منك بعض البحبوحة عوضك عنها ببعض التجلي ، وإذا أغرقك في النعيم المادي حرمك من نعيم القرب .

فهناك توازن يعبّر العلماء عنه ؛ بأن المجموع واحد ثابت ، وهناك نظرية أخرى ليست في المعنويات بل في الماديات ، فلو أعطى الإنسان علامة للزوجة ، والبيت علامة ، والدخل علامة ، ولوظيفته علامة ، ولصحته علامة ، ولوسامته علامة ، تجد أن معظم الناس ينالون مجموع علامات واحد ، لكن متفاوتة فيما بينها ، مثلاً ثماني علامات على الزوجة ، اثنتان على الأولاد ، خمس على الرزق فالمجموع خمس عشرة ، اثنتان على الزوجة ثمان على الأولاد خمس على الرزق المجموع خمس عشرة ، عشر على الرزق ثلاث على الزوجة اثنتان على الأولاد المجموع خمس عشرة ، فلو دققت ترى من له دخل أقل من حاجته هو منعم براحة البال التي لا يحلم بها من آتاه الله رزقاً وفيراً ، « **من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك** » [ابن ماجه بسند حسن عن الأسود بن يزيد] وروي عنه عليه الصلاة

والسلام : « **من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر** » .

وهذا شيء آخر عن الرزق ، فالرزق عزيزي القارىء في أدق تعاريفه هو ما يُنتَفع به : المال ينتفع به ، العلم ينتفع به ، الخلق ينتفع به ، شعور القلب بالطمأنينة ينتفع به ، في أدق تعاريف الرزق ، الرزق ما ينتفع به .

جاء رجل إلى حاتم الأصم ، فقال : من أين تأكل ؟ فقال : من خزائنه ، فقال الرجل : أيلقي الله عليك الخبز من السماء ، فما هذا الكلام ؟ قال : لو لم تكن الأرض له لألقى علي من السماء الخبز ، يرزقني من الأرض ، هكذا تجد أن الإنسان حينما يطلب الرزق من الله عز وجل فيسوق الله له الرزق ، فقد يلتقي أحدهم مصادفة بإنسان عاطل عن العمل فيسأله : أتعمل ؟ يقول : لا ، يقول له : هناك عمل في مكان كذا ، وعند فلان ، فاذهب إليه .

الموضوع طويل وله آلاف الشواهد ، قد ترزق من حيث لا تحتسب ، قد ترزق بسبب تافه جداً ، قد ترزق بنظرة ، قد ترزق برسالة جاءتك خطأً ، قد ترزق ببضاعة كاسدة .

سمعت أن أحد تجار البزورية في الحرب العالمية الثانية باع السكر بزيادة قليلة فجاءت الضابطة فأغلقت المحل بالشمع الأحمر ، إلى أن انتهت الحرب بعد أشهر قليلة فتضاعف السعر مئة ضعف فاغتنى إلى ولد ولده كما يقولون ، فقد ترزق بشيء مزعج ، فالله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين .

الشيء الدقيق والذي يلفت النظر حقاً : أنك إذا علمت أن الله هو

الرزاق ذو القوة المتين أفردته بالقصد ، الناس أحياناً يتجهون إلى زيد ، إلى عُبيد ، إلى فلان ، إلى هذه الجهة يطمعون ليأخذوا ، ولكن إذا علمت أن الله وحده هو الرزاق فإنك تفرده بالقصد ولا تسأل أحداً سواه ، تكسب العزة والكرامة والطمأنينة والحظوة عند الله عز وجل بتفويضك الأمر إليه ، وصدق التوجه والتوكل .

قيل لإنسان آخر : من أين تأكل ؟ قال : من خزائن مَلِكٍ لا تدخلها اللصوص ، ولا يأكلها السوس ، خزائن الله عز وجل مفتوحة ، وخزائنه مملوءة ، وخزائنه فيها كل شيء ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١] .

من أسخف النظريات أن يقول كثير من علماء الغرب الماديين وغيرهم : إن موارد الأرض تشح شيئاً فشيئاً ، وإن الأرض مهددة بمجاعة ، إن ازدياد السكان ازدياد هندسي ، « مالتوس » يقول الانفجار السكاني سيوقع الناس بمجاعة كبيرة ، هذه كلها كلمات من لا يعرف الله عز وجل ، لأن كل تقتير أو تقليل في الرزق هو تقليل من نوع التأديب لا من نوع العجز ، والإنسان وحده إذا قتر فعن عجز فيما بين يديه ، أما الإله إذا قلل فلغاية التأديب فقط .

همَّ رجلٌ من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته : لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت : زوجي منذ عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً ، ولي رب رزاق ، يذهب الأكال ويبقى الرزاق .

فمن الأخطاء الشائعة أخطاء في التوحيد ، يقولون : فلان « معيل » أي عنده عائلة كبيرة ، والصواب فلان مُعال وليس مُعيلاً ، المُعيل

هو الله عز وجل ، والناس كلهم على مائدة الرحمن .

كما قلت قبل قليل : إن الله عز وجل خص الأغنياء بوجود الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق ، فمن شهد الرزاق ما ضره ما فاته من الأرزاق ، من علامة المؤمن أنه إذا عرف الله ووصل إليه ما تألم على شيء فاته من الدنيا قط ، إذا تألمتَ ألماً شديداً ، وإذا احترق القلب حرقة لاذعة على شيء فاتك من الدنيا فهذه علامةٌ على أنك لا تعرف الله ، وأنك ما وصلت إليه ، فلو وصلت إليه لما تألمت ، ولما حزنت على شيء فاتك من الدنيا إطلاقاً ، وقد قيل : إن سيدنا الصديق رضي الله عنه ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، أحياناً تجلس مع إنسان تحس قلبه يحترق حسرةً وندماً لأن هذه الأرض باعها ثم ارتفع ثمنها إلى مئة ضعف ، متألم ألماً شديداً لا حدود له ، بل إن معظم الأمراض اليوم أمراض القلب والشرايين أمراض المعدة وأمراض الأعصاب وأمراض الأوعية ، هذه الأمراض أكثرها بسبب الآلام والندم ، دائماً يتألم ، أما إذا شهدت الرزاق ما ضرك ما فاتك من الأرزاق .

ومن عرف أن الرزاق واحد قصده ولم يسأل أحداً سواه ، عن سفيان بن عيينة قال : دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال : سلني حاجة قال : إني أستحيي من الله أن أسأل في بيته غيره فلما خرجا قال : الآن فسلني حاجة ، فقال له سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال : من حوائج الدنيا قال : والله ! ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها .

هذا العِزّ عز التعفف ، فما أجمل أن يعطي الغني الفقير ،

والأجمل من ذلك أن يتعفف الفقير عن مال الغني ، وأن يقول : الحمد لله .

قال بعض العلماء : « **كما أن الله لا شريك له في خلقه ، لا شريك له في رزقه ، كما أنه لا إله إلا الله ، أيضاً لا رازق إلا الله** » .

يقولون دائماً : إذا أعطى أدهش .

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذاً من جهلهن البهائم

قد ترى إنساناً ذكياً جداً رزقه قليل ، وقد تجد إنساناً في منتهى البساطة والسذاجة رزقه وفير ، فالمعنى أن الرزق له عامل آخر غير عامل الذكاء وعامل السعي ، لكن ليتيقن كل إنسان أن للرزق علاقةً بالاستقامة ، العوام يفهمون أن هذا الرزق مكتوب ولا حيلة لأحد في كسبه ودفعه ، هذا الكلام صحيح من جانب واحد ، فالله يقول :

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [الجن : ١٦] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

روي عن رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** » إذا أردنا أن نوضح هذه الحقيقة ، مثلاً إذا رأيت أن ابنك ليس أهلاً لتملك المال ، فإنك تعطيه الحد الأدنى ، تعطيه مبلغاً يسيراً يكفي حاجاته الضرورية ، أما إذا كان ابنك من أهل الصلاح ، ورعاً واستقامةً واتزاناً وحكمةً تقول له : أبقِ معك الخمسمئة ليرة ولا شيء عليك ، أما أن تعطي خمسمئة لولد آخر قد يذهب لأماكن لا ترضي الله عز وجل فلا يصح ، بل تعطيه ثمن شطيرة وأجرة ركوب سيارة ، الحد الأدنى . . لذلك قال الله تعالى :

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧] .

الفكرة خطيرة ومهمة جداً ، التقليل تقليل تأديب لا تقليل عجز ، أو الأصح من ذلك التقليل تقليل حكمة لا تقليل حاجة .

يروى في بعض الكتب أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، سأل الله في مناجاته ، قال : يا رب إني لتعرض لي الحاجة الصغيرة أحياناً ، أفأطلبها منك أم أطلبها من غيرك ؟ فأوحى الله إليه : لا تسأل غيري ، أي : إنّ الإنسان أحياناً يحتاج شيئاً بسيطاً فليسأل الله حاجته كلها صغيرها وكبيرها ، فهل هناك رزاق سواه ؟ فمرةً حدثني طبيب ناشىء ، أول افتتاحه عيادة في الريف ، ووالدته مريضة في دمشق ، وهو يحتاج إلى مبلغ معين ، فتوجه إلى الله سبحانه يسأله ذلك المبلغ ، فعلى خلاف العادة أتاه مريض وراء مريض . . إلى أن اجتمع المبلغ بكامله .

تترتب على الإنسان أحياناً مدفوعات . . فليقل : يا رب أنا محتاج فقير لعطائك فأعطني ، عوّد نفسك الطلب من الله فإذا رأيت الزوجة متصلبة برأيها فقل : يا رب! . رأيت الشريك مزعجاً . . فقل : يا رب! لطِّفْه . . وجدت الابن منحرفاً . . يا رب! أدّبه . . وجدت العمل مزعجاً . . فقل : يا رب! بدّله ، عوّد نفسك أن تسأل الله عز وجل كل شيء ، قال : يا رب! إني لتعرض لي الحاجة الصغيرة أفأسألها منك أم أطلبها من غيرك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : لا تسل غيري .

أحياناً الإنسان يقول لأخيه المؤمن حفظاً لماء وجهه وإكراماً له :

إياك أن تسأل أحداً غيري ، فكلما سنحت لك حاجة تعال إلي وخذها مني ، هذه منتهى المودة ، فإنك إذا أحببت إنساناً حباً شديداً ، فإنك لا ترضى أن يبذل ماء وجهه لزيد وعُبيد من الناس ، فإنك تقول له : إياك وأستحلفك بالله أية حاجة تعرض لك فائتِ إلي ، وكأن الله عز وجل لشدة حرصه علينا وحبه لنا قالك لا تسأل غيري .

عفان بن مسلم قال قال لي حماد بن سلمة ـ الذي قال فيه الإمام أحمد : إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام ـ : ألح المطر علينا سنة من السنين وفي جواري امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام فوكف السقف عليهم فسمعتها تقول : يا رفيق ارفق بي! فسكن المطر فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها فقالت : اجعله حماد بن سلمة فقلت : أنا حماد وقد تأذيت بالمطر فقلت : يا رفيق ارفق بنا! فما بلغ من رفقه بك ؟ فقالت : سكن المطر وأدفأ الصبيان وجفف البيت ، قال : فأخرجت الدنانير وقلت انتفعي بهذه فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها قد خرجت علي ، وقالت : ألا تسكت يا حماد! تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت : يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا من بابه ألصقت خدها بالتراب ثم قالت أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني .

ثم قالت يا حماد! رد عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذي أخرجتها منه ، فإننا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين .

أحياناً ينالك الخير من الله مباشرة وفي ذلك عز ، لا أحد له عليك

مِنَّة ، وأحياناً أنت تشتكي ، فإذا اشتكيت لمؤمن قد يرق لك قلب هذا المؤمن ، لكن الآن سيأتيك العطاء لا من الله مباشرة بل عن طريق هذا المؤمن ، فإذا اشتكيت إلى كافر يشمت بك ، وقد يعطيك ، لكن هذا منتهى الإهانة أن يعطيك عن طريق كافر ، فإذا كان هناك منظر يهز أعمق مشاعري أن أرى مؤمناً يتذلل أمام كافر ، يبذل ماء وجهه ، يتشكى ، يتضعضع .

إنَّ الذي يحرك الإنسان حبُّه أكثر مما يحركه عقله ، فالإنسان بدافع الحب يقدم الغالي والرخيص والنفس والنفيس ، بدافع الحب يقدم كل شيء ، بدافع العقل قد يقتنع ، وقد يعتقد ، وقد يوقن ، ولكن لا يتحرك .

لذلك فالدعاة إلى الله يجب أن يخاطبوا العقل والقلب في وقت واحد ، ربما إذا أحدثوا في العقل القناعة فهذا نصف النجاح ، أما إذا أحدثوا في الإنسان ، بالإضافة إلى قناعة العقل ، موقفاً أساسه الحب فهذا كل النجاح ، أنت قبل كل شيء إنسان ذو عقل ولك قلب ، العقل إذا أعمَلْته في الكون عرفت الله ، وإذا أدركت النعم الإلهية أحببته بقلبك ، وإذا أحببت الله فقد أحسنت التوجّه ، لا يُسمى الإنسان إنساناً إلا إذا أحب .

مرةً كنا في الجامعة وقد أحيل أحد الأساتذة إلى التقاعد وأقيمت له حفلة طيبة ، وهو أستاذ علم النفس ، قال هذه الكلمة ولا أنساها :

« **الإنسان الذي لا يشعر برغبة في أن يُحِب ولا يشعر برغبة أن يُحَب فليس من بني البشر** » ، لا يمكن أن تُسَمَّى إنساناً إذا كان قلبك صخراً ، أو إذا كان قلبك جلموداً .

إذاً لا بد من أن تُحِبَّ ، الشيء الذي يلفت النظر هو أن أصحاب النبي ﷺ عليهم رضوان الله ، لماذا فعلوا المستحيلات ؟ لماذا باعوا أنفسهم ؟ ولماذا ضحوا بكل شيء ؟ أحدنا لو جرحت يده أو أصبعه لصاح ولضمدها ولاعتذر عن لقاءاته ولأخذ إجازةً . . . سيدنا جعفر تأتيه ضربة سيف تقطع يمينه فيُمسك الراية بشماله ، تأتيه ضربة سيف أخرى تقطع شماله فيمسك الراية بعضديه إلى أن يخِرَّ شهيداً ، ما هذا الحب الذي أدى بصاحبه إلى التفاني ثم للاستشهاد ؟!

أصحاب الحوائج النفيسة يقولون : يا رب! ارزقني الجنة ، يا رب! ارزقني أن أعرفك ، يا رب! لا تمتني قبل أن ترضى عني ، دائماً طلباتهم متعلقة بالجنة والمعرفة وفهم القرآن وقراءة تفاسيره ، وهناك أشخاص يقولون : يا رب! أخرج المستأجر مِن داري . . فناس يطلبون أشياء نفيسة وناس يطلبون أشياء خسيسة ، هذا اجتهاد ، فاللهم ألهمنا رشدنا ، وهذا أيضاً رزق .

هناك من يقول : « لا أطلب من مولاي غير رضاه » ، أي لا أطلب من الله إلا رضاه ومحبته ، وإذا كان شيءٌ حقيرٌ أطلبه من أهل الدنيا .

يُحكى أن امرأة يحيى بن معاذ قالت ليحيى : لقد رأيت العجب العجاب ، إن بنيتي طلبت مني شيئاً تأكله مع الخبز ، فقلت لها : سلي الله تعالى ، قالت ابنتها : « إني أستحيي من الله أن أسأله ما آكل » ، هذا رأي ، ولكن روي :

**« لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْحَ ، وَحَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ »** .

فانظر معي رحمك الله إلى هذه المفارقة العجيبة : هذه الصبية

الصغيرة تستحيي أن تسأل الله مباحاً ، وشيخ طاعن في السن لا يستحيي أن يعصي الله .

ـ والله ـ هناك منظر لا يصدق ؛ إنسان في الستينيات يلعب بالنرد في المقهى ويترك الصلاة ، وإنسان متصابٍ بالخمسينيات يتزيّن أمام الفتيات أو واقف على محل أو على شرفة أو على طريق ينظر إلى النساء ، أو يجلس في مقهى يطل على الرصيف تلاحق نظراته النساء ، هذا شيء عجيب غريب ، « . . . **وأُبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد** » .

إن الله عز وجل يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر ، أؤكد لك إذا أنت صليت صلاة صحيحة ، أو إذا أكرمك الله بالحج مثلاً فاعلم أن هذا رزق عظيم ساقه الله تعالى إليك ، فأحدهم وقف في عرفات وبكى حتى انتشى ، وبعضهم بقي شهراً في نشوة هذا البكاء ، أو هذا القرب أو هذه الرحمة ، إذا صلى فرض صلاة وشعر أن هذه الصلاة أدّاها بخشوع ، وهذه هي الصلاة التي أرادها الله عز وجل ، وشعر فيها بخشوع ، وفتح الله عليه في فهم ما تلا من قرآن ، هذه أرزاق ، إذا صام رمضان صياماً مقبولاً وشعر أن صيامه كان صحيحاً ، ليس فيه معاصٍ ، كان منيباً إلى الله فيه ، وصلى التراويح بنشاط ، فهذا فوز عظيم . إذ تحرّى رضا الله والالتجاء إليه وسعد بالقرب منه .

قال العلماء : إن الله يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر ، وأرزاق القلوب الكشوفات والمعاني ، كما أن أرزاق الأجساد الغذاء والأحاظي ، ( جمع حُظوة ) ، الكشوفات أي : إنّ

المؤمن يرى ما لا يرى الآخرون ، عنده رؤية ، عنده شعور ، يعرف جوهر الحياة ، يعرف أين كان وإلى أين المصير ، يعرف أثمن ما في الحياة .

أحياناً الإنسان يضيع وقته بأشياء تافهة ، وأحياناً يمضي وقته بأشياء ثمينة ، وهذا أيضاً رزق ، هناك نقطة أخرى ، وهي عكس اليسر في الرزق ، أي العسر في الرزق بالنسبة إلى بعض الناس قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر : ١٤ـ٢٠] .

تراه ذكياً ، يحمل شهادة عليا ودخله قليل ، ليس له وظيفة ولا عمل ، هذا بتقدير الله عز وجل فكما أن الله عز وجل ، يضيّق على العبد رزقه المادي أحياناً يضيق عليه رزقه الروحي ، يصلي صلاة لا معنى لها جوفاء ليس فيها خشوع ، يشرد في الصلاة ، قال لي شخص يعمل محاسباً : إذا وقعت في غلط بالمحاسبة فلا أذكر الصواب إلا في الصلاة ، وقد تكون حسابات لم تسجل سهواً ، فإذا صلى ذكرها في الصلاة ، قال مكرراً : بالصلاة كل المشكلات تأتي إلى خاطري ، فمعناها : هناك سد ، كما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه المادي أحياناً يضيق عليه رزقه الروحي ، هذا التضييق له تفسيران ، الأول أن هناك معصية ، هناك مخالفة ، هناك تقصير ، هناك حقوق لم تؤدّها ، هذا حجاب ، نعوذ بالله من أن نتردى فيه ، كل معصية لها حجاب .

وهناك تفسير آخر ، قد تكون مستقيماً على أمر الله لكن هذا التضييق سببه التعطيش وصلتَ لمرتبة أنت راغب بأن تبقى فيها ، والله عز وجل أراد لك أن ترتقي عن هذه المرتبة ، فكيف تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ، يحجب الله عنك الأحوال والمواجيد والتجليات ، فتضج وتقلق ، وتخاف ثم تشمر وتعمل الصالحات ، تصعد درجة ، تعيش فيها فترة لا بأس بها ثم تألفها وترضى بها ، لكن الله لا يرضى لك في هذه الحالة أن تستمر ، فيحجب عنك الأحوال ، فلا صلاتك صلاة ، ولا ذكرك ذكر ، ولا تلاوتك تلاوة ، قلب متصحّر ، حالٌ فيه ضيق واشمئزاز .

هو مستقيم ، ولكن لا شفافية ولا أحوال ولا سرور ولا تجلِّيات ، فيدفعه هذا إلى أن ينطلق إلى المزيد من العمل الصالح فيرفع المستوى فيقفز قفزة تبلغه أعلى درجة أرادها الله له بهذه الطريقة ، إذاً هذا تفسير قد يضيق الله على عبده رزق الأرواح ليندفع بعد ذلك إلى الأرقى .

قال أحدهم : دخلت على داود الطائي فرأيته منبسطاً ، وقبل أن أتابع القصة لي هذه الملاحظة ، أنت كونك مؤمنا ، إن سعدت بقربك من الله عز وجل فأنت مؤمن ورب الكعبة ، وإذا كانت نشوتك وسرورك وطلاقتك وراحة نفسك وجدتها بإقبالك وقربك ، فهذه علامة إيمانك ، أما إذا تألقت عيناك وتورد خداك وانطلق لسانك لأرباح حققتها أو لمكسب وصلت إليه فهذه علامة أخرى ، فمن أنت ؟ أَمِنْ أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ إذا سرك عطاء البشر فأنت من أهل الدنيا ، أما إذا سرك عطاء الله عز وجل فأنت من أهل الآخرة .

قال : دخلت على داود الطائي فرأيته منبسطاً ، وكنت إذا دخلت عليه أراه منقبضاً ، المؤمن إذا أنكر قلبه وضعفت صلته بالله عز وجل يصبح كاليتيم ، تراه هادئاً ، تسأله : ما الخبر ، خير إن شاء الله ؟ يقول : لا شيء ، قال الحسن البصري : إذا تلوت القرآن وذكرتَ الله عز وجل وصليت ولم تجد بشراً وانشراحاً فاعلم أنك محجوب ، قال الله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

ذاك حجاب الآخرة ، ولكن هناك في الدنيا حجاب ، إذا شعرت أنك محجوب انتبه وابحث عن السبب ، لعلك مقصر ، لعله معتَدٌّ بنفسك ، لعلك مستغنٍ عن الله ، لعلك وقع في نفسك سوء ظن بالله وأنت لا تدري ، لعلك وقعت في سوء ظن بالنبي عليه الصلاة والسلام وأنت لا تدري ، فإذا شعرت أن بينك وبين الله حجاب فابحث عن السبب ، وإياك أن يزداد الحجاب ، والحجاب يرق ويثخن ، فإذا كان الحجاب كثيفاً فالمشكلة خطيرة جداً ، كما قال سيدنا عمر : « تعاهد قلبك » ، يعني راقب قلبك ، راقب أحوالك ، راقب طمأنينتك ، لو أن إنساناً استيقظ بعد صلاة الشمس فإذا لم يشعر بانقباض فحالته خطيرة جداً ، لكن إذا شعرت بانقباض شديد وألم وشعور بالخزي والعار من الله عز وجل وشعور بالضياع فهذه مشاعر إيمان وصلاح ، أما إذا قال : مثل بعضها ، ماذا جرى ؟ فهذه أيضاً مشكلة كبيرة جداً .

« دخلت على داود الطائي فرأيته منبسطاً ، وكنت إذا دخلت عليه أراه منقبضاً فقلت أي شيء حالك ؟ فقال سقاني البارحة شرابَ أُنسِهِ

فأردت أن أجعل اليوم يوم عيد » ، يعني صار له صلة بالله ، أقبَلَ على الله ، وشعر بنشوة الاتصال ، هذا أجمل ما عنده ، فقال : أردت أن أجعل ذلك اليوم يوم عيد ، لذلك إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أنْ هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله .

نشوة المؤمن في تقربه من ربه ، أرجو أن يتسع صدرك لهذه الكلمة ، إذا سعد الإنسان في الدنيا فهذه علامة سلبية خطيرة فليحذر ، الأهم والأولى أن تسعد بالله ، وفي هذا الإيجابية والفلاح ، والحقيقة الأخرى التي لابد من التذكير بها : أن الإنسان لا يمكن أن يسعد إلا بالله ، إذا سعد إنسان بما سوى الله فهذا شتاته وهوانه !! فالقرآن كلام الله ، وربنا عز وجل قال :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤ـ١٢٦] .

سأل رجل : ما بال الملوك والأغنياء فالدنيا كلها بأيديهم ؟ كل شيء عندهم ، وكذلك الأغنياء ؟ والجواب : ضيق القلب ، في قلوبهم من الضيق والتبرّم والشقاء ما لو وزع على أهل بلد كفاهم ، لذلك فالله عز وجل قد يعطيك الدنيا ، ويأخذ منك راحة قلبك ، وقد يعطيك راحة القلب ، ويسلب الدنيا منك ، فالعبرة أن يكون قلبك غنياً بالله عز وجل .

قال : سقاني البارحة شراب أنسه فأردت أن أجعل من ذلك اليوم عيداً ، فقلت : أتأذن لي أن أحمل لك طعاماً حتى تفطر ؟ فقال : لست أشير إلى هذا ، وشتان بين شراب يدار على الكف وشراب

يكون في موجب لطف وروية كشف ، هناك شراب مادي وهناك شراب معنوي .

إذاً الرزاق هو الله عز وجل .

وأخيراً فما علاقتنا بهذا الاسم ؟ وهذه خلاصة مهمة جداً ، أولاً عليك أن ترضى بقسمة الرزاق بِدءاً من أمك وأبيك ، فأنت ابن فلان وفلانة ، هذا تقدير الله عز وجل .

عليك أخي المسلم أن ترضى بوالديك لأن هذا منتهى الحكمة ، ويجب أن ترضى بشكلك ، فالله أقامك بهذا الشكل ، طول زائد ، قصر ، وسامة ، دمامة ، صحة ، ضعف ، هكذا أقامك الله ، فإذا اعترضت على الله فلست مؤمناً ، يجب أن ترضى عن اختيار الله لك من أي رجل وامرأة كان وجودك ، وبأي شكل كان وجودك ، وأن ترضى عن رزقك وعن زوجتك ، فالله اختار لك هذه الزوجة ، أكثر الأشخاص غير المؤمنين يمضي كل حياته في عذاب ، يقول : ما توفقت في هذه الزوجة ، فالله اختارها لك ، علم فيك خيراً فضمها إليك لعلك تهديها إلى الله ، انظر إلى المؤمن عنده حسن ظن بالله ، لو أن الله ساق له ولداً سيئاً لا يتبرم ، يقول : إن الله عز وجل هكذا اختاره لي ، ولو كانت زوجه امرأة سيئة ، رضي باختيار الله له . . قال له أحدهم : طلقها ، قال : والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين .

هذا يعني أن ترضى عما رزقك الله .

والمعنى الثاني : أن تجعل يدك على مالك يد الرجل الأمين على مال الله ، وأن تجعل مالك خزانة ربك ، يدك على المال يد الأمانة لا يد الملك ، قال الله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان : ٦٧] .

إذاً المعنى الأول من معاني الرزق أن ترضى بما قسمه الله لك ، وإذا رضيت بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس ، أما المعنى الثاني : فأن تجعل مالك مال ربك وأنت عليه أمين ، ولستَ مالكاً .

* * *